البابُ السابع

الحياءُ في
حياةِ الصحابة وسلوكهم

الفصل الأول : رجلٌ تستحي منه الملائكة

الفصل الثاني : حياءُ أشجّ عبد القيس

الفصل الأول

رجلٌ تستحي منهُ الملائكة

قالَ حبيبُنا وسيدنا محمدٌ ﷺ في حقّ هذا الصحابي الكريم المفضال : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة »[1] ؟!

ـ تالله إنَّ رجلاً يقولُ فيه الحبيبُ الأعظمُ ، وسيِّدُ أهلِ الحياء ، هذا القولَ لرجُلٌ عظيمٌ كريم!

ـ ترىٰ مَنْ هذا الذي حظيَ بهذا الشرفِ العظيم ، وهذا التكريم الكريم ، لخُلُقه وحيائه الكريم ؟!

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٤٠١) ، وأحمد (٦/ ١٥٥و١٦٧) ؛ وانظر : مجمع الزوائد (٩/ ٨١) .

ـ هو ثالثُ خلفاءِ الخلافةِ الراشدةِ عثمانُ بنُ عفانَ الأمويُّ القرشي[1] أميرُ المؤمنين ، وأحدُ العشرة المبشرين بالجنّة ، ومن السّابقين الأولين إلىٰ الإسلام ، وإلىٰ دوحة الفضائل ، وممَّنْ صلّىٰ إلىٰ القبلتين ، وهاجر الهجرتين ، وهو زوج الابنتين الشريفتين : رقية وأم كلثوم ، وهما بنتا رسول الله ﷺ ، ولذا لقّب بذي النُّورين لتزوجه بهما .

ـ وما نقولُ عمّنْ جهَّزَ جيشَ العُسرة ، واشترىٰ بئر رومة بالمدينة بعشرين ألفاً ، ثم تصدَّق بها ، وابتاع توسعة المسجد النبوي بخمسةٍ وعشرينَ ألفاً ؟!

ـ إنَّ القلمَ ليعجز أنْ يرسمَ ما قدَّمهُ هذا الصحابي الحيي

---

(١) مصادر ترجمة عثمان رضي الله عنه لا تُحصىٰ ولا تُحصر ، ومنها : طبقات ابن سعد (٣/٥٣ـ٨٤) ، وصفة الصفوة (١/١١٢) وما بعدها ؛ وحلية الأولياء (١/٥٥) وما بعدها ، وانظر : الاستيعاب ، وأسد الغابة ، والإصابة ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، والرياض النضرة ، وغيرها كثير جداً .

الكريم ، فقد كان شريفاً في الجاهليةِ والإسلام ، إذ كان أحد الخمسة الذين نوَّرَ اللهُ قلوبهم علىٰ يدِ سيدنا أبي بكر الصديق لما بزغتْ شمسُ الهدايةِ تؤذنُ بمطلعِ فجرِ الهدىٰ والإيمان .

ـ ولعثمانَ أوّليات مشرقة بارقة تلمعُ في جنح الليالي ، وتندي صفحات الأيام ، وتعطِّرُ الكونَ بشذا أريجها ، فهو أولُ مَنْ هاجرَ إلىٰ الحبشة مع زوجهِ رقية بنت رسول الله ، وهو أوّل مَنْ شيّد المسجد ، وأولُ مَنْ خطَّ المفصَّل ، وأوّلُ مَنْ ختمَ القُرآن في ركعة .

ـ وله فضائلُ عظمىٰ ، فقد اختصه الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ بكتابةِ الوحي ، وأخبر أنَّه أشدُّ هذه الأمّة حياء ، وأنَّ الملائكة تستحي منه .

ـ ويكفيه منَ الفضلِ أنَّ الحبيب المصطفىٰ ﷺ قد استغرق في الدُّعاء له يوم العُسرةِ ، ورفعَ يديه حتىٰ أُريَ بياضَ إبطيه .

ـ وحياءُ عثمانَ ـ رضي الله عنه ـ حياءٌ ممزوجٌ بشخصه الكريم منذ أنْ رأىٰ الدنيا إلىٰ آخرِ نَفَس في حياته ، ومن ألوانِ

حياتِهِ ما وردَ عنه ـ رضي الله عنه ـ قال : ماتغنيتُ ، وما تمنيتُ ، ولا وضعتُ يدي اليمنىٰ علىٰ فرجي منذُ بايعتُ بها رسولَ الله ﷺ ، وما مرّتْ بي جُمعةٌ إلا وأعتقُ فيها رقبة ، ولا زنيتُ في جاهليةٍ ولا إسلام ، ولا سرقتُ .

ـ ومنْ مناقبِ عثمانَ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ شهدَ له بالحياء ، فقد روتْ أمنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : استأذنَ أبو بكر علىٰ رسول اللهِ ﷺ ، وهو مضطجعٌ علىٰ فراشٍ ، عليه مِرطٌ لي ، فأذنَ له وهو علىٰ حاله ، فقضىٰ الله حاجته ثم انصرفَ ، ثُمَّ استأذنَ عمر ، فأذن له ، وهو علىٰ تلك الحال ، فقضىٰ الله حاجته ، ثُمَّ انصرفَ ، ثُمَّ عثمان ، فجلس رسولُ اللهِ ﷺ ، وأصلح عليه ثيابه ، وقال : « اجمعي عليك ثيابك » فأذنَ له ، فقضىٰ اللهُ حاجته ، ثم انصرف .

فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ، لم أرك فزعتَ لأبي بكر وعمر كما فزعتَ لعثمان ؟

فقال : « يا عائشة إنَّ عثمانَ رجلٌ حييٌّ ، وإني خشيتُ إنْ

أذنتُ له علىٰ تلكَ الحالِ ألا يبلِّغ إليَّ حاجته »[1] .

ـ وفي روايةٍ لأحمد والطبراني ، وأبي يعلىٰ بإسناد حسن : « ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة » ؟[2] .

ـ وقد شهدَ له رسولُ الله ﷺ أيضاً بأنَّه أكثر الصحابة شبهاً به بالخُلق ؛ فقد أخرجَ الطبراني منْ حديث عبد الرحمن بن عثمان القرشي أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دخلَ علىٰ ابنته وهي تغسل رأس عثمان ، فقال : « يا بُنية ، أحسني إلىٰ أبي عبد اللهِ فإنَّه أشبهُ أصحابي بي خُلُقاً »[3] .

ـ وأخرج أبو نُعيم في الحلية هذه الحِلية الكريمة في مضمار الحياء ، من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنَّه قال : « أشدُّ أمّتي حياءً عثمان »[4] .

---

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة .
(٢) المسند (٦/ ١٥٥ و ١٦٧) ، وانظر : مجمع الزوائد (٩/ ٨١) .
(٣) انظر : مجمع الزوائد (٩/ ٨١) .
(٤) حليةُ الأولياء (١/ ٥٦) .

ـ وأخبارُ عثمان ـ رضي الله عنه ـ ترطِّبُ القلوب ، وتزكو بها النّفوس ، وتشحذ الهمم ، وتزينُ المجالس ، وتتحلّىٰ بها الأفواه والأسماع ، ولكنْ في هذا القدرِ كفاية لكتابنا هذا الذي زيّناه بطائفةٍ منْ مناقبه في الحياء رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

الفصل الثاني

حياءُ أشجِّ عبدِ القيس

هذا صحابيٌّ كريمٌ حييٌّ ، ولكنَّ اسمه لم يلمع في عالم الشُّهرة كغيره من الصحابة ، إلا أنَّه يُعرف بالأشجّ! فمن الأشج هذا ؟ وما علاقته بالحياء ؟

ـ اختلفتِ الأقوالُ في اسمِ هذا الصحابي الكريم ، إلا أنَّ أرجحَ الأقوالِ في تسميته أنه : المنذر بن عائذ بن الحارث بن عصر العصري العبدي من عبد القيس ، يعرف بالأشجّ[1] .

---

(١) انظر ترجمته في : الاستيعاب (١٠/ ١٩٥) ترجمة رقم (٢٤٨٨) ، والإصابة (١٠/ ٢٨٤) ترجمة (٨٢١٣) ، وغوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المشتهرة لابن بشكوال (ص ٨١ـ٨٣) ، ومسند أحمد =

ـ قال ابنُ عبد البر ـ رحمه الله ـ : ذكروا أنَّه سيدهم وقائدهم إلىٰ الإسلام ، وابنُ ساداتهم ، فقالَ له رسولُ الله ﷺ : « يا أشج » ، وكان أول يومٍ سمِّيَ فيه الأشجُّ . ومنْ ولده عثمان بن الهيثم بن جهم بن عبس بن حسان بن المنذر العبدي المحدّث[1] .

ـ وأجمع مَنْ ترجمَ له بأنَّه يقال له : أشجُّ بني عصر ، مشهورٌ بلقبه هذا ، وفدَ علىٰ النبيِّ ﷺ ومَنْ معه من عبد القيس[2] . فاحتفىٰ بقدومهم ، وقال : « مرحباً بهم ، نِعْمَ القومُ عبد القيس » .

= (٣/ ٢٢ و ٢٣) و (٤/ ٢٠٥) ، وطبقات ابن سعد (١/ ٣١٤) و (٥/ ٥٥٧) و (٧/ ٨) ، ومجمع الزوائد (٩/ ٣٨٧) وأسد الغابة (١/ ١٩٦ و ١٩٧) وغير ذلك .

(١) الاستيعاب (١٠/ ١٩٥ و ١٩٦) .

(٢) كانت لبني عبد القيس وفادتان : الأولى قبل الفتح . والثانية كانت في سنة الوفود .
ـ وكان الأشج في الوفادةِ الأولىٰ كما جاء في كتب الصحيح وغيرها .

ـ ونلمحُ في السيرةِ العَطِرة ثناءَ النبي ﷺ علىٰ وفدِ عبد القيس وترحيبه بوفدهم ورئيسهم الأشج ؛ فقد ذكر ابنُ سعد ـ رحمه الله ـ أنَّ النبيَّ ﷺ نظرَ إلىٰ الأفقِ صبيحةَ ليلة قدومِ الوفدِ وقال : « ليأتينَّ ركبٌ منَ المشركين ، لم يُكرهوا علىٰ الإسلام ، قد أنضوا الرّكاب ، وأفنوا الزّاد ، بصاحبهم علامةٌ ، اللَّهُمَّ اغفر لعبدِ القيس ، همْ خيرُ أهلِ المشرق » .

ـ ولما دخلوا علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ وسلموا عليه ، امتدحَ الأشجّ ، وذكر بأنَّ فيهِ خصلتين من خصائل الخير ، وحصائلِ العقل ، وهما : الحلم والحياء .

ـ فقد أخرجَ الإمام أحمد والنسائي من حديثِ الأشجّ العصري قال : قالَ لي رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ فيكَ لخُلقَين يحبُّهما الله » ؛ وفي رواية : « فيك خصلتان يحبُّهما اللهُ ورسوله » .

قلتُ : ما هما ؟

قال : « الحلم والحياء » .

قلتُ : أقديماً كانَ أو حديثاً ؟

قال : « بل قديماً » .

قلتُ : الحمد لله الذي جعلني على خلقَين يحبّهما الله[1] .

ـ إنَّ الحبيبَ الأعظمَ محمداً ﷺ يعلنُ عن ابتهاجه وسروره بوفد عبد القيس ، ونعتهم بألوانِ الفضائل من إخلاصٍ في إيمانهم وإسلامهم ، وعدم الاغترار بزخرف الدنيا ، وهم قد أهزلوا ركائبهم ، وقطعوا المسافات الشاسعة ، وتحملوا وعثاء السفر ، ومشقةَ الطريق ، ووحشةَ البوادي ، والشعابَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/٢٠٦) ، والنسائي في فضائل الصحابة برقم (٢١٠) ، والبخاري في الأدبِ المفرد برقم (٥٨٤) ، وابن سعد في الطبقات (٥/٥٥٨) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٨٧و٣٨٨) ، وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . وهذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (١٨) من حديث أبي سعيد الخدري في خبر طويل بلفظ : « إنَّ فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة » .

والأودية ، وذلك شوقاً إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ ليسلموا علىٰ يديه ، ويطالعوا إشراق النبوة في وجهه الشريف ﷺ .

ـ وقد خصَّ الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ رئيسَهم الأشجَّ بأطيب الذِّكر ، وأحمد الثّناء ، إذ ذكر ما تميّز به الأشجُّ منَ الفضائلِ الإنسانية ، وذلك بما حباهُ الله منْ أخلاقٍ حميدة ، ومكارم عقلية جبَلَهُ الله عليها ، وفي طليعةِ ذلك : الحلمُ والحياءُ ، أو الحلمُ والأناة ، وإلىٰ هاتين الخصلتين يرجع جماع حكمته ومكارمه .

ـ ولعلَّ حبيبنا وسيدنا رسولَ اللهِ ﷺ قد أراد بهذا الوصف للأشج ، أنْ يلفتَ أنظارَ أصحابهِ قد أراد بهذا الوصف للأشج أنْ يلفتَ أنظار أصحابه الكرام ، ومنْ ثمّ أنظار المؤمنين إلىٰ يومِ الدِّين إلىٰ أنْ يكون نظرهم في تفاضلِ الرجال هو السّمو الخلقي والفكري وفي مقدمته الحياء .

ـ ومنَ الجدير بالذِّكر أنَّ وفدَ عبدِ القيس قد ظلُّوا ضيوفاً في المدينةِ عشرة ، فقد أخرجَ ابنُ سعدٍ ـ رحمه الله ـ أنَّه كانتْ ضيافة رسول الله ﷺ تجري علىٰ وفدِ عبد القيسِ عشرة أيام ،

وكان الأشجّ يسائلُ رسولَ اللهِ ﷺ عن الفقهِ والقُرآن ، وكان يأتي أبيَّ بن كعب فيقرأ عليه ، وأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ للوفدِ بجوائز ، وفضَّل عليهم الأشجّ ، فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ونشّاً ، وكان ذلك أكثر ما كان رسولُ اللهِ ﷺ يجيزُ به الوفد[1] .

* * *

(١) طبقات ابن سعد (٥/٥٥٨) .